الحيوان المزهر والنبات المفترس

الافتراس للحيوان فهو الذي يسعى في طلب رزقهِ ولا يكتفي بما تنبت الارض من نباتها وتنضج من ثمارها بل يعتدي كبيرهُ على صغيرهِ وقويُّهُ على ضعيفهِ وقد يعتدي الصغير على الكبير والضعيف على القوي فيفترس احدهُ الآخر افتراساً. ولا تعرف انواعهُ شفقة ولا حناناً فترى الحرَّ يأكل احراءهُ وصغار العناكب تأكل امَّاتها والهوام تلصق بابدان الدواب وتمتصُّ دمها وكلٌّ يسعى في شأنهِ. واما النبات فتنشب جذورهُ في الارض ويستقرُّ فيها ويكتفي بما تمتصهُ جذورهُ من عناصرها وبما تتناولهُ اوراقهُ من الهواء الذي حولهُ وهو لا يعيش عيشة الزاهد المكتفي بالقليل بل يعتدي على ما حولهُ من النبات ويناظرهُ في التهام الغذاء لكنهُ يفعل ذلك مستقرًّا في مكانهِ غير ساعٍ في طلب رزقهِ

وكان المظنون ان بين الحيوان والنبات حدًّا فاصلاً من هذا القبيل لا يتعدَّاهُ الحيوان فيستقر ويغتذي من الجماد ولا يتعدَّاهُ النبات فيسعى ويفترس الحيوان. لكن ظهر لدى امعان النظر ان الاحياء الارضية سلسلة متصلة الحلق وقد نقض البحث والاستقراء الحدود القديمة وكشفا عن نباتات خالية من الجذور او من الاوراق او من الجذور والاوراق معاً تلصق بغيرها من النبات وتغتذي بهِ ونباتات اخرى تسعى سعي الحيوان وتنتقل من مكان الى آخر بل تفترس الحيوان افتراساً وعن حيوانات تلصق في مكانها كالنبات وتغتذي مثلهُ تمَّا يصل اليها لا تمَّا تسعى لهُ. ومن هذه الحيوانات ما يتفرَّع مثل النبات ويزهر مثلهُ من ذلك الحيوانات المعروفة بشقائق البحر وهي تزري بشقائق النعمان لوناً وبهاء مقامها في البحر تلصق بالصخور قرب الشاطيء في الاماكن القليلة التعرض للامواج. جسمها انبوب جلدي القوام قاعدتهُ واسعة لتتمكن بالصخر الذي تلصق بهِ ورأسها متفرِّش كزهر الاقحوان او الشقيق او نحوها من الازهار المنبسطة وفمها في وسط هذا الرأس وهي تختلفة الالوان بعضها برتقالي ورأسهُ قرنفلي وبعضها اصفر منمش وشعر رأسهِ ابيض وبعضها مرقَّط او مخطط بالاحمر والابيض وشعر رأسهِ اصفر او احمر وبعضها يحيط بساقهِ حلقات بنية وبيضاء على التعاقب وشعر رأسهِ اخضر. وبعضها ساقهُ خضراء وشعر رأسهِ ابيض وبعضها رأسهُ كزهر الاقحوان تماماً اوراقهُ بيضاء وقلبهُ اصفر الى غير من الاشكال والالوان التي يعدُّ منها ولا يعدَّد. وها نحن نكتب هذه السطور وامامنا صوَر ٢٣ نوعاً مختلفاً منها

والشعر المشار اليهِ ليس شعراً بل نتوات دقيقة بارزة من رأس الحيوان بعضها قصير لا

يبلغ طولهُ نصف قطر الرأس وبعضها يتدلَّى حول جسم الحيوان كغدائر الغيد الحسان. وكلهُ اذرع يستعين بها على امساك طعامهِ وافتراسهِ فاذا مرَّ بهِ حيوان قبض عليهِ باذرعهِ قبضةً لا مناص لهُ منها ونفث في جسمهِ سمًّا يخدرهُ و يمنعهُ من الحركة ودفعهُ الى جوفهِ وحينئذٍ تنقبض اذرعهُ فوق رأسهِ و يصير كالكرة ويبقى كذلك الى ان يهضم طعامهُ ثم يبسط اذرعهُ وينتظر فريسةً أُخرى فيفعل بها ما فعل بالاولى

ومن قبيل ذلك الحيوان المعروف بخيار البحر وهو يسعى قليلاً لكنَّ سعيهُ بطيء جدًّا ولهُ حول فيهِ زوائد كاوراق الزهر كما ترى في هذا الشكل . ومن غريب امرهِ انهُ مضياف يفتح دارهُ لغيرهِ من الحيوان فان في جسمهِ تجويفًا كبيرًا مملوءًا ماء تدخلهُ سمكة صغيرة وتقيم فيهِ وتخرج منهُ تسعى في طلب رزقها ثم تعود اليهِ كأنهُ خباؤها او وطن اصلي

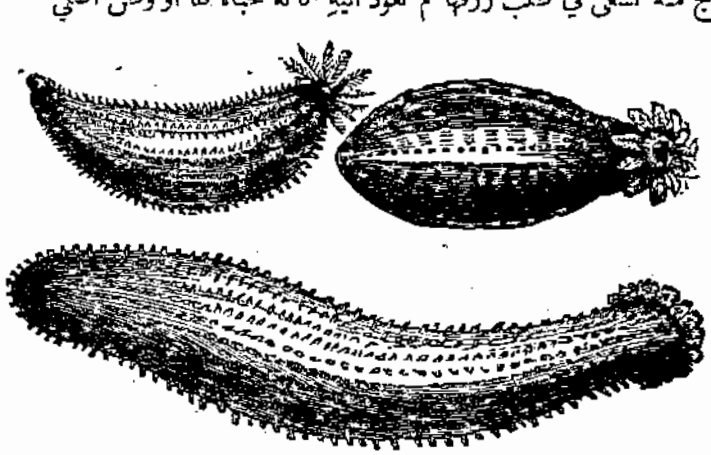

ومن قبيلهِ ايضًا حيوانات المرجان على انواعها واشكالها فان مشابهتها للنبات تامَّة حتى بقي المرجان زمانًا طويلاً معدودًا بين انواع النبات وهي حيث تكثر في البحر تحسبها خميلة مدبَّجة بالازهار المختلفة الالوان والاشكال

ومنهُ زنابق البحر وهي حيوانات من نوع السمك النجمي تعيش في اعماق البحر حيث لا ترى عين انسان بهاء الوانها وبديع اشكالها تقوم على ساق طويلة ويتفرَّع من رأسها فروع كزهر الزنبق والسوسن وقد بقيت منها بقايا كثيرة من العصور الغابرة تحجرت بما رسب في ابدانها من المواد الترابية والعوام يرونها ويحسبونها ازهارًا تحجرت من عهد الطوفان

هذا ما يقال من حيث الحيوانات المزهرة اما النباتات المفترسة فلا نقل عنها غرابةً . واي شيء اغرب من ان ينصب النبات شباكهُ للحيوان فيصيدهُ ويفترسهُ . ومعلوم ان النبات كثيرًا

ان مغازلها ثابتة لسرعة حركتها وقد اشترتها حكومة الروس لمدارسها الصناعية

ولما شبعت من الوقوف امام الآلات الفرنسوية والانكليزية والالمانية لان النفس تشبع من الفوائد كما تشبع المعدة من الطعام قيل لي انك لم ترَ معروضات اليابان في هذا الباب كما رأيتها في غيره من الابواب فهرولت اليها وانا احسب انني لا ارى فيها غير ما اعتدنا رؤيتهُ في هذه العاصمة من منسوجات اليابانيين وموشياتهم فلما وقع نظري عليها واجلت طرفي فيها اكبرتُ امر هذه الامة التي جارت الاوربيين في كل شيء فترى بين معروضاتها البرانيط من كل الاشكال والانواع والانجاف المطرزة وعليها صور الاطيار والازهار بالوانها الطبيعية تحسبها بارزة منها كأنها موضوعة امامها وضعاً لا منسوجة فيها نسجاً وصوراً كثيرة في رباط من الحرير تعلق في البيوت بدل صور الزيت. في واحدة منها صورة امرأة مكسال والسبحة في يدها وفي اخرى صور بط واوزّ والريش منهُ لامع كأنهُ خرج من الماء وانعكس عنهُ نور الشمس. وفي اخرى صورة ديك ودجاجة رفقاء وفراخها معها. وفي اخرى صورة شجرة مزهرة والطيور تحتها. وفي اخرى صورة صخر في البحر وقف عليهِ نسر كأنهُ ملك على عرشهِ. وفي اخرى صور كلاب صيد جارية تكاد تسبق اظلالها. ولا تسل عما هناك من المراوح والقمصان والمظلات والقش المضفور وما اشبه مما يدخل في هذا الباب

وهناك ايضاً كثير من منسوجات الحرير والمخمل المعرَّقة والموشاة على ضروب شتى وهي تشهد لراسميها بالمهارة في فن الرسم واختيار الالوان كما تشهد لصناعي انوالها ببلوغ الحد في التفنن والاتقان. وسواء كانت هذه الانوال يابانية او اوربية وسواء كان الرسَّامون والحاكة من الوطنيين او من الاجانب فصناعة النسج المتقن دخلت ربوع يابان ورسخت قدمها فيها وصار اليابانيون يباروت الفرنسويين والانكليز والالمانيين في اتقان منسوجاتهم ولا عجب اذا رأيناهم يباروتهم في كثرتها ورخصها واذا اقتدى بهم جيرانهم الصينيون والكوريون والهنود ونبقى نحن العثمانيين في ساقة كل اهالي المشرق بعد ان كان اجدادنا في طليعة امم الارض

الباب الرابع عشر في الصناعات الكيماوية وفيهِ خمسة فصول الاول في الكيمياء الصناعية والصيدلية والثاني في الوراقة والثالث في الدباغة والرابع في استخراج الطيوب والخامس في التبغ والثقاب (عيدان الفصفور)

وهذا الباب مناسب للباب السابق ومعروض الى جانبهِ ولا تضرُّ رائحة التبغ فيهِ لان رائحة الطيوب تغلب عليها على حد ما قالهُ احد الظرفاء